

الخير والسيئ من الناس

تشير التجربة الإنسانية إلى أن كل مجتمع من المجتمعات يحوي بعض الخيرين من الناس الذي يميلون بطبعهم إلى فعل الخير باستمرار، والبعض الآخر من الشريرين الذين يميلون بطبعهم إلى الاعتداء على حقوق الغير وعدم التورع عن إلحاق الضرر بهم.

يتصف الخيرون من الناس عامة بالميل نحو مساعدة الغير والتسامح معهم واحترام حقوقهم الشخصية والعقائدية والثقافية، كما يتميزون بالتواضع مهما بلغت درجة ما يتمتعون به من ذكاء وحكمة وثروة ونجاح. أما الشريرون من الناس فيتصفون عامة بالميل نحو الشك في الغير والغيرة منهم، وعدم التسامح معهم، والاعتداء أحيانا على حقوقهم وحررياتهم، كما أنهم يتميزون بالعنجهية مهما بلغت درجة ما يعانون من جهل وقصور وفشل.

إن من الممكن، باستخدام سياسة الجزرة والعصا، أي سياسة الترغيب والترهيب إقناع غالبية الشريرين من الناس بالتوقف عن عمل الشر والقيام بأعمال خير بدلا من ذلك. لكن من شبه المستحيل إقناع الخيرين من الناس بارتكاب أعمال شريرة، إلا إذا قام المعنيون أولا بغسل أدمغتهم، وجرهم إلى الإيمان بعقائد متطرفة.

إن عمليات التنقيف العقائدي تقوم بتحويل الأتباع إلى مخلوقات عديمة الشخصية والقدرة على التفكير السليم، تسير بلا وعي أو تفكير خلف قيادات عقائدية يغلب على مواقفها طابع التطرف. وهذا يضع الأتباع من العقائديين في وضع نفسي يجعلهم على استعداد للقيام بما يُطلب منهم القيام به دون نقاش، وارتكاب جرائم بحق الغير باسم العقيدة ومن أجل نشرها بين الناس. إن العقائديين حين يقومون بإصدار الأوامر للأتباع بارتكاب جرائم ضد الغير لا يفعلون ذلك عادة بهدف إلحاق الضرر بغير العقائديين ومن أجل الاعتداء على حقوقهم، بل لإيمانهم بأنهم أوصياء على الناس والمجتمع، وأن من واجبهم نشر العقيدة من أجل خير الناس جميعا.

من ناحية أخرى، يشير تاريخ الإنسانية، خاصة الحديث منه، إلى أن التطرف العقائدي، بغض النظر عن طبيعته وأهدافه، كان مسئولا عن معظم الحروب الدولية، وحروب الإبادة الجماعية، وعمليات التطهير العرقي. وبينما قامت العقائد المتطرفة بالتضحية بأرواح مئات الملايين من الناس من أتباعها وغيرهم، فشلت تماما في تحقيق الحرية، أو العدالة الاجتماعية، أو التنمية السياسية، أو الرفاهية الاقتصادية، أو الديمقراطية، أو نشر ثقافة التسامح بين الناس. وفي الواقع، ليس هناك عدو لثقافة التسامح والعدل والحرية بوزن وقسوة وعنف وشراسة الإيديولوجية.

إن أغلبية الأتباع المترممين إيديولوجيا والملتزمين بالتطرف عقائديا هم أبرياء، ولكن مسلوبو الإرادة، ينتظرون استلام الأوامر للتحويل إلى مجرمين وارتكاب ما يطلب منهم ارتكابه من جرائم بشعة بحق الغير. وهذا يفرض على كل المجتمعات أن تفهم أن عمليات التنقيف الإيديولوجي، إذا تركت دون رقابة، من المؤكد أن تقود إلى التزمت، ومنه إلى التطرف، وتنتهي بالإجرام.

إن التطرف العقائدي الذي نعنيه هنا لا يقتصر على أتباع العقائد الدينية والقومية والاجتماعية-الاقتصادية فقط، بل ويشمل أيضا عبادة المال، السعي الدءوب لجمع وتكريس المال باستخدام كل الوسائل المتاحة، القانونية وغير القانونية، الأخلاقية وغير الأخلاقية. يوليو 2007